الفصل العشرون
الطباعة في العالم الجديد

لقد اكتُشفت أمريكا بعد اختراع الطباعة بحوالي نصف قرن؛ ولذا ليس مفاجأة أن نعلم أن انتشار الطباعة ودخولها إلى القارة الأمريكية تبع انتشار الحضارة الأوروبية فيها. وإذا كانت الطباعة في أوروبا ظهرت في مجتمع متحضر بدأ يستيقظ من سبات طويل، فإن الطباعة في القارة الأمريكية كانت مخاطرة تطوعية في القفر. لقد كانت الكلمة المطبوعة هدية أوروبا لأمريكا.

كان الإسبانيون أول من دبروا لأنفسهم مستقرات دائمة في العالم الجديد، وكان مركزهم الرئيسي فيما يعرف الآن باسم دولة المكسيك. وهم أطلقوا عليها اسم اسبانيا الجديدة. وكانت دوافعهم اقتصادية وسياسية ودينية. وكان من جملة أهدافهم أن ينصِّروا سكان البلاد المستعمرة؛ ولما كانت الكلمة المطبوعة عنصراً فعالاً في هذا المجال، فقد كان من البدهي أن يزودوا بعثاتهم التبشيرية الأولى بآلة طباعة.

ولم تكن الطباعة قد انتشرت في كل أرجاء أوروبا، إذ كان لا يزال آنذاك عدد من البلدان الأوروبية بدون طباعة، عندما أرسل سنة ١٥٣٩م طابع اسباني متميز من أشبيلية اسمه خوان كرومبيرجر Juan Kromberger حملة طباعية إلى مدينة مكسيكو للقيام بأعمال الطباعة فيها. وقد شجع هذا العمل اسقف مكسيكو الإسباني زوماراجا Zumarraga ونائب الملك في المنطقة. وقد عهد هذا الأسقف إلى كرومبيرجر أن يقوم بطبع عدد من الكتب الدينية بلغة القبائل المحلية في مكسيكو. وقد بدأ الطابع عمله في إشبيلية، ولكنه لاحظ أن العمل يمكن إنجازه بشكل أجود وأسرع لو تم في البلد الذي سيوزع فيه. ولذلك أرسل هذه الحملة بقيادة طابع معروف وعدد من الطابعين المساعدين؛ هذا الطابع هو خوان بابلو Juan Pabloo وهو من أصل ايطالي ولكنه كان يعمل في إسبانيا. وقد عقد بينه وبين كرومبيرجر اتفاق جعل لكرومبيرجر اليد العليا على بابلو، وأن على بابلو أن يؤسس وأن يدير مطبعة في مدينة مكسيكو باسم ولحساب كرومبيرجر، وأن يطبع كل يوم

ثلاثة آلاف صفحة، وهو مسؤول عن جميع الأخطاء والتلف الذي يمكن أن يحصل في المطبعة، وليس له أي حق في أي دخل من المطبعة، وعليه أن يعمل عشر سنوات تحت كنف واسم كرومبيرجر. ولكن بابلو لم يطبع سوى ثمانية عناوين. وكانت الطباعة سيئة هزيلة، وبقع الحبر منتشرة على الصفحات، وأسوأ منها قبعة الكاردينال التي هي علامة الطابع.

ولقد صدر عن مطبعة مكسيكو هذه عدد من الأعمال في أوائل الأربعينات من القرن السادس عشر، وأغلب مطبوعاتها كتب دينية، ولكن تم طبع كتب مدرسية أولية للأطفال وبعض المنشورات الحكومية الرسمية. هذا وإن أول كتاب طبعه بابلو في تلك المطبعة هو كتاب بعنوان : «شجاعة وشمول وسمو العقيدة المسيحية»، وصدر في مدينة مكسيكو سنة ١٥٣٩م. ومهما يكن من شيء فإنه لم يبق الآن سوى أعداد قليلة جداً مما أصدرته مطبعة مدينة مكسيكو.

ولقد تأسس أول مصنع للورق في العالم الجديد سنة ١٥٧٥م وبدأ إنتاجه. وقد أسس في ضواحي مدينة مكسيكو. ولم ينتشر فن الطباعة في المكسيك انتشاراً كبيراً، ولم يوجد بها إلا عدد ضئيل من المطابع خارج مدينة مكسيكو، وظل الوضع قريباً من هذا حتى سنة ١٨٠٠م.

وإن ثاني بلد أسست فيه مطبعة في العالم الجديد هي البيرو الحالية في أمريكا الجنوبية. فقد حضر إلى ليما عاصمة البيرو المسماة باسم (مدينة الملوك) انطونيو ريكاردو Ricar-do سنة ١٥٨٤م، وأصله من ايطاليا ولكنه عمل طابعاً في المكسيك وأسس فيها مطبعة وبدأ عمله الطباعي هناك، وأول ما طبعه هو مرسوم بابوي صادر عن البابا غريغوري الثالث عشر مؤلف من أربع صفحات، ولا تزال نسخة واحدة منه محفوظة في مكتبة جان كارتر براون الموجودة في مدينة بروفيدانس من ولاية رود آيلاند الأمريكية.

ولم ينتشر فن الطباعة في بقية بلدان أمريكا اللاتينية إلا ببطء شديد. فقد تأسست في الأرجنتين أول مطبعة سنة ١٧٠٠م، ولكن سبقتها غواتيمالا بذلك إذ تأسس فيها مطبعة سنة ١٦٦٠م بتأثير مكسيكي. وامتلكت كوبا أول مطبعة سنة ١٧٢٣م. أما بقية دول أمريكا اللاتينية فقد تأسست فيها مطابع بعد ذلك حوالي منتصف القرن الثامن عشر. وكانت أغلب المطبوعات ذات صبغة دينية.

الطباعة في المستعمرات الأمريكية

لقد زحف فن الطباعة مع المستكشفين الأوائل وحل معهم أينما حلوا. فقد نزل أوائل الرواد الإنكليز سنة ١٦٢٠م على ساحل بلا يموت روك Plymouth Rock ، وتأسست أول مطبعة في ولاية ماساشوسيتس سنة ١٦٣٨م وبدأت عملها سنة ١٦٣٩م.

ذلك أن سكان المستعمرات بدؤوا حوالي ذلك الوقت اهتمامهم بالتربية والتعليم فأسسوا المدارس وبدأ البحث في تأسيس كلية. ولقد تحمس لهذا المشروع رجل دين من إنكلترا اسمه جوزيف غلوفر Glover كان قد هاجر إلى المستوطنات واستقر فيها. وقد اعتقد هذا القسيس أن وجود مطبعة في المستوطنات الجديدة سيسهل عمل الكنيسة البوريتانية وقضية تأسيس كلية دينية لتخريج رجال الدين والمبشرين، ولذا فقد أبحر إلى إنكلترا وهناك جمع مبلغاً من المال واشترى مطبعة مع لوازمها من حبر وورق ونحوه واستأجر طابعاً ذا خبرة هو ستيفن داي مع ولديه، وشحن الجميع في سفينة من انكلترا إلى ماساشوسيتس. وقد توفي غلوفر أثناء الرحلة، ولكن ذلك لم يؤثر في العملية، فقد وصلت المطبعة إلى كمبردج في ماساشوسيتس واحتضنت المشروع أرملة غلوفر وأسست أول مطبعة في المستوطنات، وبدأت عملها سنة ١٦٣٩م. وقد أسمت السيدة غلوفر المطبعة باسم مطبعة كمبردج، وكانت أول سيدة تقوم بمثل هذه الأعمال التي كانت مخصصة حتى آنذاك للرجال. ولعل ولدي ستيفن داي وهما ماثيو وستيفن هما اللذان باشرا الطباعة في المطبعة. أما أبوهما فهو الميكانيكي الذي ركب المطبعة وشغلها.

وإن أول قطعة مطبوعة معروف أنها صدرت عن مطبعة كمبردج هي منشور معروف باسم : «قسم الرجل الحر The oath of a Free Man» . وأول كراس طبع هو «تقويم سنة ١٦٣٩م». ولكن لم تبق نسخة واحدة من كلا العملين.

لقد كانت التوراة والتقاويم هي أكثر الكتب انتشاراً ووجوداً في بيوت أوائل المستوطنين. فقد كانت الأعمال الزراعية من حرث وبذر وحصاد... تتم حسب ما هو وارد في التقاويم . ولذا كان من الطبيعي البدء بطبع التقاويم.

أما أول كتاب طبع في المستعمرات التي عرفت فيما بعد باسم الولايات المتحدة الأمريكية فهو كتاب «المزامير The Whole Booke of Psalmes» الذي تم طبعه سنة ١٦٤٠م في مطبعة كمبردج المذكورة أعلاه.

يتألف هذا الكتاب من ١٤٧ ورقة مطبوعة بشكل خشن فج مع صفحة عنوان. ولم يبق من هذا الكتاب سوى عشر نسخ ست منها غير كاملة.

ولقد أدارت أسرة داي المطبعة حتى سنة ١٦٤٩م عندما توفي ماثيو فحل محله في المطبعة ساموبل غرين؛ الذي ظل يعمل بها حتى سنة ١٦٩٢م. ولقد صدر عن هذه المطبعة حتى ذلك التاريخ أكثر من مائتي كتاب وكراسة، وبعض هذه المطبوعات تقاويم، وبعضها مواد لها علاقة بجامعة هارفارد ـ ذلك أن أرملة غلوفر تزوجت من هنري دانستر Dunster أول رئيس لكلية هارفارد التي تأسست سنة ١٦٣٩م ـ وبعضها كتب دينية وكراسات دينية كثيرة.

وإن ثاني كتاب مهم تم طبعه في المستوطنات الأمريكية هو كتاب اسمه توراة الهنود أو «التوراة الهندية». ذلك أن جون إليوت المبشر والقسيس الانكليزي مارس التبشير مدة طويلة بين هنود أمريكا الحمر، وهو ينشر بينهم الديانة النصرانية على المذهب الإنكليكاني، ولاحظ أن عملية التبشير والتنصير قد تسير بشكل أفضل لو وجد توراة بلغة الهنود الحمر، ولذا بدأ بعملية نقل التوراة كلها إلى لغة الهنود الحمر. وطلب مساعدة حاكم ولاية ماساشوسيتس فأجيب إلى طلبه وشكلت لجنة خاصة لهذا الغرض. ولما تمت ترجمة التوراة تقرر طبعها، وبدئ بطبعها في مطبعة كمبردج سالفة الذكر. ولكن يبدو أن الطابع سمويل غرين لم يستطع أن يقوم بعمل مرضٍ في هذا المجال، فأحضر طابع بارع من انكلترا هو مارمادوك جونسون لإنجاز العمل. وتمكن جونسون هذا من إنجاز العمل سنة ١٦٦٣م. ويوجد الآن نسخة من هذه التوراة في مكتبة جمعية العاديات الأمريكية في دور سيستر من ولاية ماساشوسيتس. وهي نسخة كان قد اشتراها آنذاك شخص اسمه إسحاق توماس بسبعة دولارات ، وهو ثمن خيالي آنذاك.

ولقد امتلكت مدينة بوسطن في سنة ١٦٧٥م أول مطبعة لها وأصبح جون فوستر أول طابع فيها؛ وكان فوستر هذا يمارس الحفر على الخشب، وقام هو بنفسه بتزويد مطبوعاته بوسائل الإيضاح المحفورة على الخشب .

وتعد ولاية بنسلفانيا الولاية الثانية في المستوطنات الأمريكية التي تأسست فيها مطبعة، وكان ذلك سنة ١٦٨٥م. فقد موّل حاكم المستعمرة وليام بين Penn تأسيس مطبعة هناك،

وقام بالطباعة فيها الشاب وليام براد فورد Bradford. وأول كتاب أصدرته هذه المطبعة هو تقويم بعنوان : «رسالة امريكا، هو تقويم للسنة ١٦٨٦ من تاريخ سيدنا». وبعد فترة انتقل براد فورد إلى نيويورك وأسس فيها أول مطبعة سنة ١٦٩٣م. وأول ما صدر عن مطبعته هذه هو بيان هاجم فيه براد فورد زعماء بنسلفانيا الذين عارضوه وجعلوه يترك الولاية. وقد ظل براد فورد في نيويورك يعمل في الطباعة حتى وفاته سنة ١٧٥٢م. وقد طبع أكثر من ٤٠٠ كتاب وكراسة خلال حياته. وقد اشتهر أنه من أبرز طابعي العهد الاستعماري، وأنه أول من طبع تاريخ نيويورك، وأول من طبع خريطة محفورة على النحاس لنيويورك. كما وأنه ساهم في تأسيس أول مصنع للورق في الولايات المتحدة سنة ١٦٩٠م، وأسس أول مطبعة في نيوجرسي سنة ١٧٢٣م. وقد تابع أبناؤه وأحفاده عمل الأسرة الطباعي حتى أواخر القرن التاسع عشر.

ولقد تأسست مطبعة في فرجينيا سنة ١٦٨٢م لفترة قصيرة ثم زالت ، ولم تمتلك فرجينيا مطبعة بشكل دائم إلا في سنة ١٧٣٠م. عندما أسس وليام باركس Parks مطبعة وليامسبورغ Williamsburg. كذلك تأسست في ولاية ساوث كارولينا مطبعة سنة ١٧٣١م في مدينة تشارلستون. وقد أصبحت هذه المطبعة حتى الثورة الأمريكية من أنشط المراكز الطباعية في أمريكا.

كان تقدم الأمريكيين نحو الغرب الموحش بطيئاً، ولذلك ظلت الطباعة في مستوى منخفض ضيقة الانتشار ضعيفة التقنية. ولكن لم يلبث أن ظهر اتجاه طباعي جديد في أمريكا هو طبع الجرائد.

وتعتبر جريدة بوسطن ويوميات انكلترا الجديدة أول الجرائد طباعة في أمريكا سنة ١٧٢١م. ولقد كان الحاكم الانجليزي يسارع إلى فرض غرامة باهظة ومعاقبة كل طابع يطبع شيئاً يشتم منه رائحة عدم الولاء.

ولم تتأسس مطبعة في كندا حتى عام ١٧٥٢م عندما أسس بارثولوميوغرين، وهو أحد أحفاد صامويل غرين من أوائل الطابعين في مطبعة كمبردج أول مطبعة أسست في المستوطنات الأمريكية، أول مطبعة في مدينة هاليفاكس من مقاطعة نوفاسكوشيا Nova Scotia. وصدرت بعد هذا التاريخ بسنة في هاليفاكس أول جريدة في كندا على يد جان بوشل Bushell.

بنيامين فرانكلين وأعماله في حقل الطباعة

لعل أبرز الطابعين الأمريكان في العهد الاستعماري هو بنيامين فرانكلين. ولد بنيامين في بوسطن أوائل القرن الثالث عشر، وهو من أصل فقير كل الفقر وهو عصامي من طراز ممتاز . اشتهر بنيامين في التاريخ الأمريكي كسياسي ورجل دولة وفيلسوف ومخترع وعالم وصحافي. ولكن عمله الأول كان الطباعة وظل يوقع حتى آخر أيامه اسمه متبوعاً بكلمة الطباع. وقد اشتغل بنيامين منذ صغره في مطبعة أخيه جيمس وظل يعمل فيها مدة تسع سنوات بدون أجر، ولكنه كان يطعمه ويكسوه. وكان أخوه القاسي كثيراً ما يضربه ويجبره على الوقوف ساعات طوالاً وهو يعمل في صف الحروف يدوياً. ولقد صبر بنيامين على هذه المعاملة، وكان يحب المطالعة منذ صغره وكان يستعير الكتب ويقرؤها. وغالباً ما كان يتلصص من تحت الباب الذي كان أخوه يعمل داخله في الغرفة بطبع بعض الموضوعات الخاصة ويتسمع ويسجل بعض الملاحظات. وكان أخوه يقوم بطبع جريدة بوسطن لمدير البريد في بوسطن وليام بروكـــر Brooker .

ولكن بعد فترة أتى مدير آخر وانتزع الجريدة من جيمس ، فأصدر يوميات انكلترا الجديدة، وتُعدُّ أول جريدة تصدر في المستعمرات الأمريكية ليس لها صبغة رسمية. وكان جيمس يقوم بطبع وتحرير هذه الجريدة يعاونه في ذلك أخوه بنيامين. وكان جيمس ذا طبع حاد وضد الملكية، ونشر في جريدته أقوالاً تهجمية ضد الحكومة الإنكليزية، ولذلك فقد اعتقله حاكم الولاية، وقد تمكنت زوجة جيمس من متابعة إصدار الجريدة بمعاونة بنيامين؛ الذي كان قد نضج آنذاك وبرزت شخصيته وتعلم فن الطباعة.

وأخيراً ضاق بنيامين بتحكم أخيه فيه وسوء معاملته له، ولذلك تركه إلى غير رجعة وتمكن أن يجد عملاً عند طابع من فيلادلفيا هو وليام براد فورد. وهناك أثبت نفسه وجدارته خلال تلك الفترة وأصبح له صلات طيبة مع عدد من الناس؛ من بينهم الحاكم الإنكليزي، ولقد جمع مبلغاً من المال وفكر أن يعود إلى بوسطن ويؤسس مطبعة له هناك ولكنه عجز عن تنفيذ المشروع. وأخيراً أدرك أنه لكي يرتقي بفن الطباعة فإن عليه أن يرحل إلى لندن ويتعلم فن الطباعة فيها، لأن ذلك الفن كان هناك أرقى بكثير مما كان عليه في المستوطنات. ولذا فقد نفذ عزمه وارتحل إلى لندن ووجد عملاً لدى أحد مشاهير الطابعين في لندن، ثم انتقل إلى العمل لدى طابع آخر. وقد لبث بنيامين في لندن حوالي سنتين واكتسب خبرة ممتازة. ثم رجع إلى فيلادلفيا واشتغل عند عدد من الطابعين. ولكنه

بعد فترة بدأ يعمل لحسابه الخاص فتشارك مع زميل له اسمه هيو ميريديث وطلبا تجهيزات طباعية من لندن. ولما وصلت التجهيزات فتحا مطبعة وبدءا العمل . وقد نجحا أول الأمر وحققا بعض الأرباح، ولكن ما إن واجها بعض المصاعب الاقتصادية حتى انسحب ميريديث من الشركة واستلم العمل كله بنيامين وكان عمره آنذاك ٢٣ سنة. ومنذ ذلك الزمن أصبح يعمل منفرداً ، وكان يوقع جميع أعماله باسم B. Franklin Printer وقد أصدرت تلك المطبعة خلال الأربعين سنة التي تلت ما ينوف على ٧٠٠ عنوان باستثناء الأوراق النقدية والمنشورات والجرائد. وقد بدأت المطبعة تصدر منذ سنة ١٧٢٩م مجلة بنسلفانيا، وهي ثاني مجلة أسبوعية تصدر في بنسلفانيا. وقد نجحت المجلة بشكل جيد مما أدى بفرانكلين إلى نشر كتابه التالي الرئيسي : «تقويم ريشارد الفقير Poor Richard's Alma-nac» ويعد هذا التقويم أول كتاب من نوعه يطبع في المستوطنات، وكان أكثر الكتب مبيعاً في وقته، وانتشر الكتاب ودخل كل بيت. وكان يباع من كل طبعة عشرة آلاف نسخة، وكان الناس ينتظرون الطبعة الجديدة بلهفة.

ولقد تنوع واختلف إنتاج فرانكلين عبر السنين، وكان هو، في نفس الوقت، الطابع والمؤلف والمحرر والناشر للجريدة، ولكنه فيما بعد؛ بعد أن تقدمت به السن وبعد أن تعددت واجباته ومهامه، تخلى عن أغلب هذه الأعمال وأصبح هو المحرر فقط بينما أصبح غيره طابع الجريدة وناشرها. كذلك اعتاد على إصدار تقويم سنوي. وكان هذا النوع منتشراً كل الانتشار في المستوطنات؛ ويأتي بعد التوراة مباشرة في كل بيت.

لقد كانت المطبوعات الحكومية تشكل جانباً مهماً من مطبوعات المطابع. فقد كانت تطبع بها قوانين الضرائب والقوانين العامة ومشاريع القوانين والجرائد الرسمية والأشكال القانونية المختلفة والتشريعية التي تحتاجها حكومات الولايات. وبالمقابل ، فقد اضطهد حكام المقاطعات أوائل الطابعين، وكانت مطبوعاتهم تخضع بعض الأحيان للرقابة. وكان الطابعون الرسميون مخظوظين ولهم نفوذ في مناطقهم، وكانت الحكومة المحلية تراعيهم وتتسامح معهم، على حين كانت تتشدد مع الآخرين. وهناك عدد من الحالات في تاريخ القضاء في العهد الاستعماري، أشهرها حالة الطابع بيتر زنجر، ومن قبله حالة اسحاق توماس؛ الذي كان وطنياً متحمساً وضد الحكومة الإنكليزية وأصدر جريدة بعنوان «جاسوس ماساشوسيتس»، وقد هاجم فيها الحكم البريطاني وأعلن عزمه على تحرير المستعمرات من حكم الإنكليز، حتى أن الحاكم الانكليزي أمره بترك بوسطن، فانتقل إلى

مكان آخر وتابع دعوته العلنية إلى التحرر من الإنجليز. وقد لعبت جريدته هذه دوراً مهماً في التعجيل بحروب الثورة.

أما قضية بيتر زنجر Zienger فهذه قضية شهيرة كل الشهرة في تاريخ القضاء في الولايات المتحدة في العهد الاستعماري. كان زنجر شريكاً لطابع شهير هو وليام برادفورد، وكانا يصدران جريدة في نيويورك باسم «جريدة نيويورك الأسبوعية». وفي سنة ١٧٣٤م شن زنجر هجوماً عنيفاً في جريدته ضد الحاكم الإنكليزي في نيويورك. وكانت حرية الطباعة مضطهدة ولم يكن هناك حماية للطابعين من أي نوع. وكان مصيرهم السجن إذا طبعوا ما تعده الحكومة هجوماً أو نقداً ضدها.

فلما نشر زنجر هجومه هذا استاء الحاكم الإنكليزي فأمر باعتقاله وشريكه بتهمة العصيان.

وقد قدم زنجر إلى المحكمة وطلب الحاكم إعدامه بتهمة العصيان، وجرت له محاكمة شهيرة جداً ونوقش طلب الحاكم وترافع عن زنجر أحد كبار المحامين وهو الكسندر هاملتون. وبعد عدة جلسات صاخبة رفض طلب الحاكم وثبتت براءة زنجر وشريكه من تهمة العصيان وأطلق سراح زنجر وتوطدت حرية الصحافة والطباعة منذ ذلك الوقت، ولم يعد باستطاعة الحكومة أن تراقب الصحف أو تفرض عليها الغرامة، وزاد ذلك من اشتعال نار العداوة ضد الإنكليز والدعوة إلى الاستقلال.

لقد طبع الطابعون الأمريكان في العهد الاستعماري إلى جانب الجرائد والتقاويم ومطبوعات الحكومة، كثيراً من المنشورات والكراسات والكتب. وكانت الغالبية العظمى من المنشورات منشورات حكومية رسمية تعلن عن قوانين جديدة وما شابه. وكانت الكراسات سياسية أو دينية المحتوى وقد طبع منها الكثير. وكانت طباعتها هزيلة. أما الكتب فقد فاز الدين بحصة رئيسية من مجموع ما نشر وطبع في أغلب المستعمرات تصل إلى نسبة الخُمْسَين. كذلك طبعت كتب الاحتفالات ونصوص القوانين والكتب الحقوقية والحوليات الرسمية وما شابه وتبلغ نسبتها حوالي الخمس مما طبع ونشر. أما نسبة ما نشر من الأدب فهو قليل وأغلبها كتب كلاسيكية عليها شروح بقلم كتاب إنكليز. أما الأعمال الأمريكية فهي نادرة كل الندرة. وتشكل المنشورات والمطبوعات في حقول التاريخ والاقتصاد والتربية والعلوم السياسية خمس ما نشر وطبع في العهد الاستعماري. أما

المنشورات في حقل العلوم النظرية والتطبيقية والفنون الجميلة فهزيلة كل الهزال لا تتجاوز نسبتها ٣٪ من مجموع ما طبع ونشر.

على أن هناك بعض الاستثناءات في هذا المجال، فقد وجد عدد من الأعمال أعيد طبعها مرات كثيرة مثل كتاب The New England Primer الذي أعيد طبعه أكثر من ثلاثين مرة بين سنتي ١٦٣٠ و١٨٣٠م. وطبع ألوف النسخ من كل طبعة. كذلك لجأ الناشرون إلى الإعلان عن طبع كتاب مهم وفتح باب الاشتراك مسبقاً لمن يريد أن يشترك. وقد تم ذلك عندما أريد طبع كتاب باسم «تاريخ انكلترا الجديدة» الذي تم طبعه في بوسطن سنة ١٧٣٦م واشترك فيه مشتركون حجزوا ما مقداره ١٤٥٠ نسخة قبل أن يطبع الكتاب.

إن أقدم جريدة طبعت في المستعمرات الأمريكية هو عدد من جريدة اسمها «الحوادث العامة : أجنبية ومحلية» صدرت في بوسطن سنة ١٦٩٧م ٢٥ أيلول. ولكن الحاكم الإنكليزي اعترض على محتوياتها ومنع طبعها.

ولم يتجرأ أي طابع على إصدار جريدة إلا بعد أربعة عشر عاماً؛ عندما أصدر جون كامبيل Campbell جريدة : «رسالة أبناء بوسطن» وذلك يوم ٢٤ نيسان سنة ١٧٠٤م وذلك بعد أن أخذ إذناً مسبقاً من الحاكم الإنكليزي. واستمرت الجريدة في الصدور تحوي أخباراً وإعلانات رسمية صادرة عن حكومة لندن وحكومة المقاطعة. وصدرت بعدها عدة جرائد في عدد من المدن في مختلف المستوطنات.

كانت محتويات الجرائد سياسية في معظمها مع وجود بعض الأعمال الأدبية التي كانت تنشر بشكل مسلسل. وكانت القوانين العامة تملأ بعض الأحيان معظم الفراغ في أحد الأعداد، وخصوصاً عندما يكون مجلس المقاطعة التشريعي منعقداً. ولقد أصبحت الإعلانات فيما بعد في القرن الثامن عشر، أحد المصادر الأساسية المالية للصحف وساهمت في استقرارها المالي. كذلك لم تصدر صحف أدبية قبل الثورة الأمريكية.

وتعد «المجلة الأمريكية» التي قام بتحريرها ونشرها وإصدارها أندرو براوفورد سنة ١٧٤١م في فيلادلفيا أول مجلة أمريكية تصدر وتطبع في أمريكا، ولم تعمر طويلاً. ثم أصدر فرانكلين مجلته المشهورة والمعروفة باسم «المجلة العامة والحولية التاريخية» واستمرت في الصدور ستة أشهر. ولقد صدر في المستعمرات بين سنتي ١٧٤١ و١٧٧٥م ما لا يقل عن سبع عشرة مجلة، غير أن أغلبها زال بعد فترة قصيرة من صدوره، ولم تعمر إحداهن

حتى تشاهد الثورة.

كانت المطابع تجلب أول الأمر من إنكلترا، ولكن وجد في أواخر العصر الاستعماري نفر قليل من الطابعين تمكنوا أن يؤسسوا مطابعهم بأنفسهم وأن يصنعوا أدواتها محلياً. كما كانت الحروف تستورد. وقد أسس أول مصنع لصب الحروف في المستوطنات في مدينة فيلادلفيا سنة ١٧٧٣م. وكانت صناعة الورق قد وُجدت في المستعمرات قبل ذلك الوقت. فقد أسس الألماني وليام ريتنهاوس Rettenhouse وابنه كلوس Claus أول مصنع للورق في مدينة جرمان تاون German Town وذلك سنة ١٦٩٠م. وقد نمت صناعة الورق بالمستعمرات ببطء، وكانت نوعية الورق هزيلة، وتمكنت المستعمرات اعتباراً من سنة ١٧٧٥م أن تكفي نفسها بنفسها من الورق.

لقد كان مركز الطابع في المستعمرات مهماً، فقد كان شخصاً ذا نفوذ في مجتمعه، وقد جمع بعض الطابعين ثروة لا بأس بها. وكان كثير من الطابعين أشخاصاً أذكياء وعندهم تنوع في المواهب من أمثال فرانكلين وبراد فورد وغيرهما. وكان كثير من الطابعين زعماء محليين في مدنهم وذلك بسبب جرائدهم، وقد ثقف كثير منهم أنفسهم بأنفسهم.

وعندما نشبت الثورة الأمريكية لعب الطابعون في المستوطنات دوراً بالغ الأهمية. فعندما نشبت أزمة قانون الطوابع كان الطابعون ، في صحفهم وجرائدهم هم الذين دأبوا على تغذية الشعب باستمرار بأدق وآخر الأنباء عن تطورات الموضوع.

ولقد استخدمت اللجان الثورية واستعملت، أجمل استخدام واستعمال الكلمة المطبوعة واستغلتها في توزيع الأنباء وإيصالها إلى كل فرد من مستعمرة إلى مستعمرة. ولقد كانت الكراسة السياسية بخاصة، مهمة في تحريك رجال المستعمرات ودفعهم للثورة، وإن من الصعب تخيل ثورة أمريكية ناجحة بدون مساعدة الطابع في المقاطعات.

ولقد تألم الطابعون خلال حرب الثورة سواء أكانوا موالين للإنكليز أم للثورة الأمريكية. فقد فقد الورق وهدم عدد كبير من المطابع. وأخيراً اعترفت حكومة الولايات المتحدة بأهمية الطابع وما ينتجه. وعندما أُجري أول تعديل على دستور الولايات المتحدة سنة ١٧٨٩م؛ ذلك التعديل الذي تناول بالتغيير والتبديل عشر مواد أساسية من الدستور، نصت المادة الأولى بحزم على ضمان حرية الطباعة بشكل ثابت ودائم.